كيف نصنع المجتمع المدرسي المتحضر السعيد



محمد عبد المنعم رضوان

[بحث فى تطوير التعليم فى مصر]
وفى العالم الاسلامى

كيف نصنع المجتمع المدرسى المتحضر السعيد

تأليف : محمد عبد المنعم رضوان

الفصل الأول

[الهدف من العملية التربوية]

الهدف من العملية التربوية هو الوصول بالانســان جسما وروحا وعقلا ونفســا الى أقصى ما يمكن من الكمــال والاتزان والجمــال والايمان . فالعمــلية التربوية الناجحة هى التى تبث الحياة الخلاقة فى قوى الانسان الأربع بنسب متساوية فلا تتضخم قوة منها على حساب ضمور واضمحلال قوة أخرى .

وهذه الطريقة هى التى تجعل صاحبها يقــود مجتمعه الى معالى الأمور دون سفسافها .

وتجعله كالشمس يغذى شـعاعها كل الأحيـاء فى مجتمعـه الملاصق له المختلط به المتعامل معه الذى يعيش فى دائرته .

وتنعكس أنوار أخلاصة وحكمته وسلوكه وايمانه على البصائر والقلوب والعقول والنفوس فتـدور كواكب من تلاميذه مضـيئة بنوره فى وسط المجتمع الذى يعيش فيه لتضىء أرضــه المظلمة ونفوسه المجدبة كما تنعكس أشعة الشمس وأنوارها على صـفحة القمر فتضىء الأرض بنوره الفضى الهادىء الرائع .

ان الفرد الذى كملت قواه الأربع الجسم والروح والعقــل والنفس ووصل الى الكمال البشرى المستطاع والجمال والاتزان والايمان هو أمة بمفرده وعالم فى ذاته وقوة ضــاربة ماهرة أمينة فى كل عمل يوكل اليه فى السلم والحرب .

وهو قائد لأبناء أمته الى السمو والانتصار ضد الأعداء وضد الشهوات وضد التسيب وضد التفريط والافراط وضد الحماقة وضد العدوان وضد الشيطان وضد كل ما يخل برجولة الرجال وعفة النساء وانعدام الضمير وخيانة الأمانة والنظرة السوداوية وانعدام الطموح وهو ضد روح الخمول والجبن والترهل والمرض وبلادة الاحساس بآلام الآخرين • وهو ضد صفاقة الشعور وانعدام روح الاحساس بالجمال فى بديع صنع الله الذى أتقن كل شىء وهو العليم الحكيم •

ان مثل هذا الفرد الذى كملت قواه الأربع بالتربية الصحيحة يعيش سعيدا فى حياته العاجلة وسعيدا فى حياته الخالدة وتبث ذكراه الخالدة الأريج العبق فى ثنايا صفحات التاريخ وأنوف الأيام الزاحفة كأمواج البحار الصاخبة •

وكل ثروة تنفق على التربية فى الأمة انما هى استثمار مضاعف الأرباح لأنه ينعش جسد الأمة الخامل ويبعث موات العقول والنفوس فتهب النفوس من خمولها والعقول من ظلام جهلها • فتكتشف الثروات المخبوءة فى أرضها وبحارها وأنهارها ونفوس أبنائها فتكون قوة يحسب حسابها ويخشى بأسها وتنتصر على أعدائها •

ويذكر لنا التاريخ من آيات عبره وحقائق حكمته أن نابليون بونابارت القائد الفرنسى العظيم الذى دوخ أوربا زحف على ألمانيا وهى مقاطعات متفرقة جاهلة خاملة فحطم قواتها وأذل كرامتها واستباح حماها بجبروت العلم ودهاء الفكر ونصاعة التربية • فلعقت ألمانيا ورأسها بروسيا جراحها وبحثت فى أسباب

نكستها فوجدت أنها هزمت من داخلها قبل أن تطأ أقـــدام جيش نابليون أرضها لأن الجهل هو العدو الأكبر لها · فحاربت عدوها وهبت من رقادها تنشر مداس التربية والمعرفة فى كل أنحائها ثم زحفت لتأخذ بثأرها فأذلت عدوتها اللدود فرنسا فى الحــــرب السبعينية وبعد انتصارها الساحق على عدوتها وجارتها ســـئل قائدها بسمارك بم انتصرتم على فرنسا فقال تلك الكلمة البليغة الصادقة العظيمة الدلالة [لقد غلبنا جارتنا بمعـــلم المدرســـة] نعم انتصرت ألمانيا وارتفعت هامتها فى أوربا عالية خفاقة بنـــوع التربية الممتازة التى تصوغ بها عقول ونفوس وأجســـام وقلوب أبنائها · هذا مثل معاصرلنا · وفى حياتنا نحن المسلمين أعظـــم دليل على ما تفعله التربية الصحيحة الكاملة فى انبعاث طـــاقات الأمة الخلاقة وبزوغ عظمتها واشراق حضارتها · فقد كانت الأمة العربية أشد الأمم تأخرا وتناحرا وخمولا وجهـلا ·

فأشرق نور الاســـلام وجـاء المربى الأعظم صـــلوات الله وســـلامه عليه فأنشا جامعة للتربية فى دار الأرقم بن أبى الأرقم فى أطراف مكة · يربى فيها رجـــالا تربية كاملة على مائدة القرآن الحافلة وعلى ثمار توجيهاته الناضـــجة بالحكمة المحفوفة بباقات الزهور اليانعة المختلفة الألوان المتماوجة فى سماء الروح بشـــذاها العبق الفياح · وعلى هؤلاء الرجال وعلى سواعد أولئك الأبطـــال قامت قواعد الاسلام · ثم قامت جامعة المسجد النبوى فى المدينة المنورة فضمت المهاجرين مع الأنصـــار مع أفراد من كل القبـــائل فى شبه الجزيرة العربية مع بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى اشارة الى عالمية هذه الجامعة وعالمية الاسلام ·

وتتابع الوحى المنير مع حكمة الرسـول الذى لا ينطق عن الهوى وتوجيهات المعلم الأعظم صلوات الله وسـلامه عليه فخرجت هذه الجامعة نجوم هـذه الأمة الذين قال فيهم الرسـول الأعظم صلوت الله وسلامه عليه [أصـحابى كالنجـوم بأيهم اقتديتم اهتديتم]

[خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم]

ووصلت الدراسة الى مرحلتها النهائية فى جامعـة المسـجد النبوى وحصلوا على شهادة التخرج العليا مع مرتبة الشـرف والكمال من الدرجة الأولى بنزول قول الله تعـالى على رسـوله فى حجة الوداع ٠

[اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليـكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا] فماذا فعل هؤلاء الأبطال فى جسم الامة العربية الخامل لقد كانوا تيار الحياة الهادر فى عنفوان وكانوا فجر الرفعة والسمو الذى بدد ظلام الجهل والوثنية والانحطاط وكانوا شمس الله الباهرة بالجمال والكمال التى أشرقت على العـالم فوصـلوا برايات الاسلام من حـدود الصـين حتى شـاطىء المحيـط الاطـلسى ٠

[عيــوب المنهج التعــليمى الحــالى]

المنهج التعليمى الحالى لا يصلح لاعادة المجتمع الاســلامى الى وجهه الناصع وبث روح الطموح والابداع والقــوة فى الجسد الاسلامى المترهل بالخمول والانحطاط والضعف .

لأنه منهج يهتم بتربية وتحريك قوة واحدة من قوى الانسان الأربع وهى قوة العقل مغفلا قوى الجســد والروح والنفس فهل مثل هذا المنهج العقيم يمكنه اخراج المجتمع الاسلامى من الظـلام الى النور ومن الخمول الى الطموح ومن الكسل الى النشــاط ومن التقـليد الى الابداع ومن الخمـود الى توهـج الايمـان . ومن السـير فى مؤخرة الركب البشرى الى قيـادة القافلة البشرية كما كان فى ماضيه الذهبى المجيد .

قد يقول قائل وهل العقل الا أهم قوة من قوى الانسان ؟! ..

وعليه تقوم الحضارات وبه يكون الابداع ! ..

فالجواب وهل يكون العقل السليم الا فى الجسم السـليم .

وهل يتم الكمال البشرى بغير عقل سـليم وجســد صحيح وروح عامرة بأنوار الايمان ونفس مترعة بزهور الاستقامة والأيثار وحب الخير للآخرين والتعاون مع الجماعة والأخذ بيد الضـعيف والأمانة ونصرة المظلوم والشجاعة فى قول الحق ومجابهة البـاطل مهما كان مدججا بالسلاح .

والكرم والقناعة والاحسان الى الجـار والقريب والمحتـاج وبر الوالدين وصلة الرحم والصبر على الشـدائد والشـكر على

المعروف والمثابرة والاخلاص فى العمل واتقانه وكبح شهوات النفس والعدل فى الحكم والنزاهة فى السلوك والعفة فى السيرة والسريرة • وغير ذلك من صفات الكمال ثم نقول للمعترض وهل المنهج التعليمى التربوى الحالى يراعى اختلاف العقول عند تغذيتها بالغث والثمين من المعارف فلتدخل الى تلك المعامل التى تخرج قادة المجتمع فى جميع مراحلها الدراسية ولتنظر بعينيك الى الطلاب وهم نائمون أو يتثاءبون أو يثرثرون أو يلهون بالأقلام على المكاتب أو وهم سارحون فى أحلام اليقظة أو مستغرقون فى حوادث مرت بهم أو يستعدون لمقابلتها •

وسترى الأستاذ يتكلم ويتكلم وكأنه شريط فى جهاز كاسيت انه يفجر معلومات ويقذف قطع دسمة من الطعام العلمى المتجمد تحتضنه الذاكرة كما هو وتفرغه فى أقرب فرصة ولا تهضمه معدة العقل المفكرة ليمتزج بالشخصية ويتحول الى طاقات خلاقة وقوى مبدعة وطاقات محركة للطموح •

انظر الى المعامل الدراسية أو السجون المدرسية على المعنى الواقعى الصحيح تجد مبانى قبيحة وحجرات مغلقة وروتين قاتل واثارة لروح الأنانية والأثرة والمنفعة الشخصية والغش والكذب والتحايل على اضاعة الوقت فى غير طائل مع قتل للطموح وتوجيه الهمم لمجرد الحصول على الشهادة والاندماج فى سلك الوظائف • وكأن الغاية من التعليم والتربية هو فقط تخريج موظفين يحملون شهادات لاقادة مجتمع فى خير أمة أخرجت للناس عقولهم تضىء الظلمات وايمانهم بربهم ونبيهم ودينهم يزلزل الجبال وهممهم تحمل رايات أمتهم فوق السحاب وتذلل أمام مسيرتها الى قيادة ركب البشرية كل الصعاب •

[تأثير البيئة الهدام على العملية التربوية]

الانسان ابن بيئته والبيئة الفاسدة تطبع أفرادها على الفساد وطفل اليوم هو رجل الغد ٠ والقدوة العملية هى التى تصوغ شخصيته المستقبلة ومهما تلقى الطالب من علوم فهو فى النهاية محكوم بقيم مجتمعه وأخلاق بيئته ٠ وهدف المربى المسلم اليوم ليس محو أمية الطلاب واعطائهم شهادات فى النهاية تدل على أنهم يعرفون القراءة والكتابة وأنهم أعدو لشغل وظائف الدولة المختلفة ٠ فلو كان هذا هو هدف القائمين على التربية والتعليم فى الأمة الاسلامية فقط لكان هذا الهدف بعينه هو ما يريده أعداء الاسلام وأعداء الأمة الاسلامية ٠

لأنهم لا يريدون لهذه الأمة أن تبرز للوجود مرة ثانية كأمة حضارة تقود البشرية المعذبة الى ما فيه صلاحها وخيرها فى الدنيا والآخرة ٠

وهم أشد ما يكونون خشية من عودة هذه الأمة الى دينها شخصيتها ٠ لأن عودتها الى روح دينها وشريعتها سيخلق لها وشخصيتها المتميزة وسيعيد لها فى فترة قصيرة من عمر الزمن حضارتها القائدة ٠

ان الحضارة السائدة الآن وهى الحضارة الغربية من شيوعية ورأسمالية هى حضارة مادية صرفة ٠ قد نحت الروح جانبا وألقت بالقيم الأخلاقية فى هاوية سحيقة من الاحتقار والازدراء واعتبرت

تعاليم السماء كما عهدتها ضد التقدم والازدهار الدنيوى وضد روح العلم التجريبى وامكاناته الخلاقة • لا فرق بين تلك التعاليم حملت اسم العهد القديم أو العهد الجديد سميت ديانة موسى أو ديانة عيسى عليهما السلام •

لأن هاتين الديانتين هما خليط بين قليل من تعاليم السماء وكثير من الوثنية وأهواء البشر والخرافات التى سادت بين الوثنيين فى عهد الطفولة العقلية للبشرية التى انحرفت عن تعاليم السماء الصحيحة •

لقد هزم العلم التجريبى الصحيح خرافات هاتين الديانتين فساء رأى الغربيين فى كل ما ينسب الى السماء من دين • وكانت أخلاق رجال الدين فى هاتين الديانتين وتحجرهم العقلى وجشعهم واسترقاقهم ضمائر الناس وقلوبهم وأرواحهم وتحكمهم فى عقولهم وتفكيرهم وأموالهم وتسليط سيف التحليل والتحريم والحرمان والغفران على رقابهم كان هذا هو السبب فى فرار الغربيين من الدين وظهور الالحاد فى الماركسية والداروينية والوجودية والانحلال فى الغرويدية وليس من بالغريب أن يكون قادة الاسماء من اليهود والانحلال من اليهود لأنهم على حسب خطتهم فى البروتوكولات يهدفون الى نسف الأديان الموجودة على ظهر الأرض وخصوصا المسيحية البوليسية والاسلام ليسودوا العالمين •

فماركس قال المادة هى كل شىء فى الحياة وهى المحركة للتاريخ والانسان والخالقة للكون • والحياة صراع بين الطبقات والدين أفيون الشعوب •

وداروين قال بتطور الأنواع وأن خالق الانسان هو التطور فأصل الانسان القرد الذى تطور من حيوانات أدنى وتطور عنه الانسان • والوجودية التى برز بها سارتر قالت أنا أحيا كما أشاء فأنا موجود •

وفرويد قال الجنس هو الاله المسيطر على الانسان ورد كل تصرفات الانسان الى أصول جنسية ومشاعر جنسية • وهكذا نحى ماركس وداروين الله من العالم وهدما الأديان السماوية • وقطعا الصلة بين السماء والأرض •

وقام سارتر وفرويد بخلع كل تيجان الفضائل من فوق رءوس البشر وهدما الأخلاق واكتسحا القيم وهى خط الدفاع الثانى للبشرية بعد العقيدة فى الحماية من التردى فى هاوية الهلاك والانحلال •

فعادا بالانسان الى حيوانية أحط من حيوانية الحيوان الذى يمارس الغريزة لهدف الانجاب أما الانسان فصار يمارس الغريزة من أجل المتعة وانخلع برقع الحياء وصارت الفضيلة والقيم من علامات التأخر والرجعية •

ولكن الانسان الغربى الذى فقد سياج العقيدة وحماية الأخلاق والذى تردى فى مستنقع الرزيلة الى القاع لابد لروحه الخاوية ونفسه الجائعة من اشباع فكانت الاختراعات المادية الكمالية ليظل الانسان القلق المعذب يلهث دائما وراء الجديد البراق •

ولما رجع البشر فى ظل الحضارة المادية الغربية الى حيوانية الغاب والى قيم المخلب والناب كانت الاختراعات الرهيبة فى أسلحة

الدمار من ذرة وهيدروجين ونيترون وقذائف موجهة وقنابل مكيروبية وغيرها ٠

وكانت غاية التمتع فى أيام العمر القصيرة والغلب فى الدنيا وتسخير الآخرين لارضاء الطموح المنحرف هى الحافز للمجتمع الغربى فى التقدم المادى الباهر الآن ٠

وكانت هذه الغاية المحركة للطموح هى التى خلقت قيم اتقان العمل لوجود المنافسة الشرسة على مستوى الأفراد والدول ولتأكيد الذات وكذلك قيم الشجاعة وحب العلم والتبحر فيه والاقبال على البحث والتفكير والصدق فى الوعد والأمانة فى السلوك ٠ والنظام فى كل أمور الحياة ٠ والجسارة فى اكتشاف المجهول ٠

ولهذا قال الامام المصلح محمد عبده حينما عاد من أوربا وسئل عن القوم هناك فقال رأيت قوما أعمالهم كديننا وأعمالنا كدينهم ٠ فان هذه القيم المستعلية العظيمة هى قيم الاسلام وأنواره الهادية ولهذا كان يطلق على رسول الاسلام العظيم صلوات الله وسلامه عليه قبل البعثة من الوثنيين من قريش لقب الصادق الأمين اعترافا منهم بعظمة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعظمة الصدق والأمانة وأثرهما الخطير فى السلوك ٠

ان عملية التربية والتعليم فى الدول الأوربية تصوغ الطلاب على هذه القيم المساعدة على تحقيق الطموح فى الحياة الدنيا والغلب فيها والاستمتاع بها والبيئة تساعد على ذلك فما هى الغاية التى تحركنا نحن أبناء الاسلام ؟! ٠٠

وهل وضعنا أمام طلابنا منذ الصغر غاية نحققها وهى خير غاية يطمح اليها بشر وهى أن نكون خير أمة أخرجت للناس فى الدنيا والآخرة كما حثنا كتابنا المقدس ودستورنا الالهى الخالد · [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله] ·

أمة تملك زمام القوة الروحية والمادية [القوة الروحية فى ديننا الكامل وشريعتنا الخالدة التى غطت كل جوانب الحياة وسمت بكل قوى الانسان وأشبعت كل قوى فطرته قال تعالى [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا] ·

[والقوة المادية التى حثنا الله بتحصيلها - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة] لتكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وهل المجتمع الاسلامى المعاصر يساعد على تحقيق تلك الغايات لو وضعت فى مناهج التربية والتعليم ·

الجواب بالنفى ·

فأولا : لم توضع تلك الغاية العظيمة المحركة الى بزوغ شمس الحضارة الاسلامية القائدة من جديد أمام الطلاب منذ الطفولة الأولى وحتى نهاية السلم التعليمى لقصور مناهج التعليم السائدة فى الأمة الاسلامية ·

ثانيا : المجتمع الاسلامى الآن حتى لو وضعت تلك الغـاية أمام الطلاب منذ المراحل الأولى مع اصلاح مناهج التربية والتعليم لا يساعد على نجاح العمـلية التربوية التعليمية لشـيوع روح السلبية والجهـل وضعف الوازع الدينى وتغلب الروح المـادية الفردية على أفراده وانعدام الطموح وندرة قيم الاسلام البـاهرة فى حيـاة أفراده العملية مثل الصـدق والأمانة واتقـان العمـل والشجاعة والجسارة فى اكتشاف المجهول والصبر على العمل حتى نهايته والنظام فى كل أمور الحياة . والاقبال على العلم لعبـادة الله به واعداد القوة عن طريقـه وروح التفكير الصـابر الدءوب والبحث العلمى فى أناة والتجرد من المتع الفردية لتحقيق السـعادة للمجموع .

ومن هنا نرى أنه لابد من عزل العملية التربوية والتعليمية عن تأثير المجتمع وعمـل انقـلاب فى مناهج التعـليم والتربية كما سأبين ذلك فى الفصل القادم .

[عزل العملية التعليمية التربوية في بيئات صالحة ومدن فاضلة]

المجتمع الاسلامى الآن يريد مسابقة عقارب الثوانى فى النهضة والتقدم والعودة لوضعه الأول كنموذج للكمال الانسانى وقيادة ركب البشرية مرة أخرى قيادة تحقق السعادة الدنيوية والأخروية ·

والمجتمع الاسلامى الآن فى حاجة الى خلع برقع النفاق فهو مجتمع ميت يتظاهر بالحياة خامل يتظاهر بالطموح · مفكك يتظاهر بالتماسك بعيد عن قيم الاسلام وروحه وسلوكه يتظاهر بتمثيل حقيقة الاسلام ·

مجتمع مختلط العادات والتقاليد والتشريعات يتظاهر بأنه صافى العقيدة بعيد عن البدع وعادات الجاهلية والتقاليد الغربية ·

والحل الوحيد المطروح للعودة بهذا المجتمع الى وجهه الناصع ودينه الباهر يكون عن طريق التربية والتعليم مع تطبيق الشريعة الاسلامية ·

فتطبيق الشريعة الاسلامية هو عودة لمظهر الاسلام ·
والتربية الاسلامية العصرية الصحيحة هى محاولة للعودة لروح الاسلام ·

ومجتمع يعيش بمظهر الاسلام وروحه هو مجتمع يتحقق به ظهور خير أمة للناس مرة أخرى · أمة تؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتعمل به وتنهى عن المنكر وتنتهى عنه ·

ويتحقق به ظهور الأمة الوسط بين الأمم والحضارات الأمة الجامعة بين الروح والمادة والنفس والعقل والعلم والدين والدنيا والآخـــرة ٠

ومثل هذه الأمة هى التى تجذب القلوب الضالة الى ربهـــا والنفوس الحائرة الى نور الاسلام ٠

أما سلوك المسلمين اليوم فهو أسوأ دعاية ضد دينهم العظيم فهم محامون فشلة فى قضية رابحة ٠

والأجيال الحالية مفسدة للأجيال المقبـلة ٠ لأن الســلوك العملى أشد تأثيرا فى نفوس الأطفال وطلاب العـــلم من المعـرفة النظرية ٠

ولهذا يجب أن يعيد من بيدهم الأمر فى العـــالم الاســـلامى النظر فى المجتمع المدرسى الصالح لتحقيق طموحات المخلصـــين من رجال الاسلام ٠

وذلك بعزل الجيل الناشىء عن الجيل القائم ٠

وهذا يتأتى باقامة مجتمعات مدرسية فاضـــلة ومدن تربوية صالحة لتمثيل العوامل البيئية الموجودة صناعيا ٠

مع الاهتمام بالسلوك العملى والقـــولى للمربين والمتعلمين فيجب أن يكون القائمون على أمر هذه المدن التربوية المدرســية مثلا فاضلة للأجيال الناشئة يتحقق فيهم فعـلا وقولا الســلوك الاسلامى الصحيح ٠ مع سعة الأفق وعمق المعـــرفة بالتـــاريخ الاسلامى وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ٠ وقمم السلف الصالح فى كافة المجالات ٠ وبث روح اليقظة الاســلامية فى نفوس الناشئة ٠ والتركيز على عظمة الاســـلام والهدف الذى

يعيش المسلم من أجله والمكانة التى يجب أن تصل اليها الأمة الاسلامية • وبيان أعداء الأمة الاسلامية فى التاريخ القديم والوسيط والحديث • ومؤامراتهم ضد الاسلام والمسلمين • ومقارنة الاسلام والشريعة الاسلامية والسلوك الاسلامى الباهر بسلوك أصحاب الحضارة المعاصرة وأديانهم وشرائعهم •

وذلك باستخدام وسائل الابهار والدعاية المعاصرة من سينما وتليفزيون واذاعة وصحف ومجلات ورحلات الى الأماكن التى شهدت أمجاد الاسلام •

وبيان جهاد المسلمين وأعلام الاسلام فى كافة المجالات وانتشار الاسلام فى ثلاثة أرباع بلاد الاسلام الآن عن طريق القدوة الصالحة والطموح الفردى والسلوك الدينى للتجار المسلمين وعلماء الاسلام •

ويجب استغلال وسائل الاعلام المعاصرة لاحياء الروح الاسلامية بين الطلاب والتلاميذ فى مدنهم الفاضلة وبين الأجيال القائمة الآن لتقريب الفجوة بين الأجيال الصاعدة والأجيال القائمة وعدم السماح لوسائل الدعاية بمحاربة قيم الاسلام وأخلاقياته عن طريق المقالة المسمومة والصورة العارية والمثيرة والأغنية الخليعة والرقصة المنحطة والتمثيلية المنحلة • أو عن طريق تمجيد أعلام الغرب وتجاهل أعلام الاسلام وتقديس كل ما هو غربى وتحقير كل ما هو اسلامى أو شرقى •

ويجب الاهتمام بالطفل المسلم منذ لحظة فطامه تربويا فقد أثبتت التجارب العلمية أن الطفل يدرك الأشياء منذ لحظة ميلاده وأن له مشاعره الخاصة نحو الآخرين والأشياء المحيطة به •

والمدن التربوية المقترحة والواقعة فى أماكن جميلة وصحية وهادئة وبعيدة عن الضوضاء ودخان المصانع والمحتوية على أقسام للحضانة ورياض الأطفال مع التعليم الابتدائى والمتوسط والثانوى . والتى تضم كل الأجهزة وامكانات تربية وتهذيب والارتقاء بقوى الجسم والروح والعقل والنفس مع وجود القادة والقائدات من المربين والمربيات وسلوكهم السلوك الاسلامى لفظا وعملا .

وتوفير نواحى الجمال الصناعى والطبيعى من أزهار ومياه فى نافورات وأحواض وأشجار مختلفة الأصناف ومساجد جميلة واسراع الجميع للصلاة اذا قام بالنداء داعى الفلاح . وكون الكبير قدوة للصغير كما قال صلى الله عليه وسلم [ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا ويعرف قدر عالمنا] فى مثل هذه المدن التربوية الصالحة يصاغ المجتمع الاسلامى الفاضل من جديد .

ويجب أن تحتوى هذه المدن التربوية على خصائص البيئة التى يوجد فيها الطفل .

كذلك يجب أن توحى تلك المدن بالانطلاق والحرية لأن الأطفال والطلاب على اختلاف مراحلهم الدراسية يكرهون السدود والحجرات القبيحة الشبيهة بالسجون . وما أروع واجمل وأعظم تلقى العلم والعمل بين أحضان الطبيعة المفتوحة فى داخل المدن التربوية بين الأشجار والأزهار والمياه الجارية .

ويكتفى بعمل معامل دراسية فيها كل ما يساعد على تحصيل المعارف عن طريق النظر والحواس معا . كلما أمكن ذلك . وكذلك الاهتمام بالرياضة فى تلك المدن التربوية بكل أنواعها وعلى رأسها

السباحة وركوب الخيل والتمرين على استخدام الأسلحة المختلفة لتشب الأجيال الجديدة من الأمة الاسلامية على عمق الايمان ومحبة الله ورسوله صلعم وروح الجهاد والعمل والطموح لرفع رايات الاسلام خفاقة عالية ودحر المعتدين وتحرير أرض الاسلام ٠

وهذه المدن التربوية تنقسم الى مدن للطلاب ومدن للطالبات ويجب التركيز فى مدن الطالبات عـــلاوة على النواحى الســـابقة على الأمور الخاصة بالأم الفاضلة المربية للأجيال والصانعة لها ٠ والتى تعرف كيف توفر السعادة فى بيتها لزوجها وأبنائها ٠ والتى تشب على تعاليم دينها وتثق فى نفســـها وتعرف أن أعظم وظيفة على ظهر الأرض هى وظيفة الأمومة ووظيفة الـــزوجة ٠ أن الأم المتعلمة المتدينة المثقفة هى صانعة الأجيال ومنشـــئة الأبطـــال والمتحكمة فى مسار التاريخ ٠

والزوجة الصالحة هى صانعة الرجل العظيم المستقر نفسانيا المستقيم سلوكيا المخلص فى عمله المتقن له ٠

الصانع لمجد أمته المساهم فى رقيها وعلوها ٠

الأم الصالحة والزوجة الصالحة تنشىء الأجيال المســتقرة نفسيا الصحيحة بدنيا وعقليا المستقيمة سلوكيا ٠ المرتبطة بأمتها ومجتمعها بالمحبة والمؤاذرة والمعاونة ٠ وروح الايثار ٠ وعلى هــذا يجب أن تختلف مناهج التربية والتعليم للفتاة عن الفتى ٠

وأن تعد الفتــــاة للمهن التى تصـــلح لها مع التركيز على أن المهنة الأولى التى خلقت لها هى مهنة الأمومة ٠

ان المرأة تصلح ويحتاج اليها المجتمع فى مهن مثل التدريس والتمريض والطب على أن تقوم بهذه الأعمال لبنات جنسها فقط ٠

أما التدريس والتمريض والتطبيب للرجال فيجب أن يقوم به الرجال فقط منعا للفساد ٠ الا فى حالة الضرورة القصوى ٠ ومعروف أن الضرورات تبيح المحظورات ٠

مثل وجود تخصص فى بعض الأمراض لا توجد فيه الطبيبة الماهرة أو الطبيب الماهر ٠

وكذلك التركيز على التدبير المنزلى والصناعات التى تصلح للمرأة وتشغل وقت فراغها بما يفيد لأن من لا يشغل نفسه بالطاعة شغله الشيطان بالمعصية ٠

مثل صناعة المعلبات الغذائية والصناعات اليدوية الدقيقة وصناعة العطور والمشروبات وأشغال التريكو والتطريز والحياكة وغيرها ٠ أو بمعنى آخر يجب أن تتقن الفتاة مهنة تعيش منها وتحفظ كرامتها لو احتاجت اليها أو تساعد بها زوجها وتشغل وقتها حتى تشعر بأنها عضو نافع فى المجتمع لا يعيش عالة على غيره ٠

كذلك يجب التركيز على النظام فى جميع التصرفات فينام الطلاب والطالبات فى موعد منتظم ويستيقظون فى موعد منتظم فينامون بعد العشاء ويستيقظون قبل الفجر دائما لأن البركة فى البكور كما علمنا النبى صلى الله علية وسلم ٠

كذلك الانتظام فى طوابير عند تجمع مجموعة تريد شيئا واحدا ٠ وعدم تخطى أحدهم لصاحبه وتجاوز مكانه ٠

كذلك غرس صحبة كتاب الله قبل النوم وعند اليقظة فى نفوس الطلاب والطالبات لأن كتاب الله هو دستور سعادتنا والنور المضىء لنا وسط ظلام الحياة الحالك .

كذلك الاهتمام بمراقبة سلوك الطلاب والطالبات قولا وعملا فمن يكذب منهم يجب أن يعاقب عقابا شديدا ويبين له أن الكذب فى الاسلام من أكبر الذنوب .

وكذلك من يخلف موعده منهم أو ينقض عهده .

أو يفجر فى خصومته وغير ذلك من خلال النفاق وأوصاف المنافقين .

كذلك التركيز على اتقان العمل الذى يؤديه الطالب أو الطالبة مع التركيز على أن اتقان العمل عبادة فى الاسلام لقول الرسول صلى الله عليه وسلم [ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه] ولقول الله سبحانه وتعالى [وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون] .

مع بيان أثر اتقان العمل فى بروز الأمم الآن وسيادتها على غيرها . وغزوها أسواق العالم بضاعاتها ومنتجاتها مثل اليابان وألمانيا والولايات المتحدة وانجلترا وغيرهم .

ومع بيان عملى عن الصناعات الاسلامية والمنتجات التى قامت بها الأيدى المسلمة فى عصر الحضارة الاسلامية وكيف بلغت القمة فى الاتقان والابداع ويمكن استخدام الأفلام العلمية فى بيان هذه الناحية .

كذلك الاهتمام بالمشاريع العملية من زراعة وتجارة وصناعة فى المدينة التربوية التعليمية التى تحتوى الطلاب جميعا حتى يمكن صياغة الطلاب والطالبات على الأمانة فى المعاملة وتقدير العمل اليدوى واحترامه وحبه وحسن استخدام الطاقات العقلية والمعارف التى حصلها الطلاب فى اتقان الصناعة والابتكار فيها ٠

وهذا يدفعنا للقول بمحاولة ادارة كل مدينة تربوية لتحقيق الاكتفاء الذاتى على قدر المستطاع ٠

فالمدينة التى توجد فى بيئة زراعية أو توجد فيها أو بجوارها أرض صالحة للزراعة يجب أن تستغل طاقات الطلاب والطالبات فى زراعتها وتخطيطها بالأشجار والأزهار والعطور والخضروات والحبوب ٠

وهذا العمل سيجعل الطلاب والطالبات يستفيدون فوائد لا تحصى عملية وعلمية وأخلاقية ٠

فأولا : تخطيط وتوزيع الأعباء على كل طالب وطالبة سيجعل الطلبة والطالبات يقدرون العمل الجماعى ويلغى روح الأنانية والفردية من بينهم لأن النجاح فى النهاية باسم الكل والفشل كذلك يحمل تبعته الجميع ٠

ثانيا : بحث وسائل اصلاح الأرض واعدادها للزراعة والمحاصيل التى تصلح لها والتى لا تصلح لها والآلات اللازمة للزراعة وكيفية ريها وغير ذلك ٠

سيجعل الطلبة والطالبات يعرفون حقائق كثيرة عن جيولوجية الأرض وأنواع التربة ٠ ولماذا تصلح بعض النباتات والمحاصيل

فى أرض معينة ولا تصلح فى تربة بعينها وتأثير الجو فى ذلك وهذا أيضا يفيدهم فى دراسة الجو وعلم الفلك وغير ذلك .

ثالثا : ربط الصناعة والنجارة والتجارة بالزراعة لأن الزراعة تحتاج لآلات وهذا يعطى الطلاب والطالبات معرفة غزيرة بتركيب الآلات وفوائد الصناعة .

وكذلك يعرفهم فوائد النجارة فى خدمة الزراعة أيضا وعليه يمكن انشاء ورش صناعة ونجارة فى المدينة التربوية لتعليم الطلاب كيفية صناعة هذه الآلات . والبذور والشتلات التى نحتاج اليها فى الزراعة نشتريها من محلات ومشاتل . ومن هنا يمكن بيان منزلة التجارة فى تسويق المحاصيل والسلع وتأثيرها أيضا على الصناعة والزراعة . وكيف أن المجتمع لا يمكنه الاستغناء عن كل العاملين فى هذه المجالات الحيوية . مع ربط هذه الحقائق المكتشفة عمليا بالدين ببيان أنها فرض كفاية اذا لم يقم به أحد أثم جميع المسلمين .

وبيان كيف أن الدين الاسلامى دين ودنيا وآخره معا .

وأن العبادات فى الاسلام لا تنحصر فى أركانه الخمسة فقط وليست طقوس معابد فقط كما هو الشأن فى الأديان الأخرى بل كل عمل شريف يقصد به خدمة المجتمع يؤدى فى اتقان وبروح الأمانة هو عبادة يثاب المرء عليها . فالاسلام بين .

[أن التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين فى الجنة]

[وأن كل ما يخرج من الأرض من ثمار ونباتات وأشجار ينتفع بها انسان أو حيوان أو طير فثوابه يضاف الى ميزان الزراع يوم القيامة]

[وأن الصناعة لازمة لقوة الأمة الاسلامية وأن صانع القوة والمحارب بها كل منهما له ثوابه عند الله تعالى]

رابعا : غرس خلق احترام العمل اليدوى . فى نفوس الطلاب والطالبات حيث سيمارسون العمل بأيديهم فى المزرعة مع ربط العمل اليدوى بالدين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لرجل تورمت يداه فى العمل هذه يد يحبها الله ورسوله . وقوله صلى الله عليه وسلم من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له .

ومعروف احتقار الغالبية العظمى من أفراد أمتنا الاسلامية للعمل اليدوى وتنقيصهم للعاملين بأيديهم مع أن العمل اليدوى هو المغير لوجه المجتمع والمحقق لكيان الأمم والمعمر لارجائها والمنشىء لقوتها . ويجب هنا انتهاز فرصة العمل اليدوى لبيان حرف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهم قمم البشرية ومثلها الأعلى وكذلك مهن أعلام الاسلام من الصحابة والسلف الصالح . وبيان أن روح احتقار العمل اليدوى روح جاهلية حطمت الأمة العربية وأن روح احترام العمل اليدوى هى روح اسلامية بها حققت الأمة الاسلامية حضارتها وأمجادها وسادت العالم قرونا طويلة بفضلها (*)

خامسا : استغلال نمو المزروعات فى بيان عظمة الله تعالى الذى أحسن كل شىء خلقه . وكيف أن الله تعالى خلق من الماء كل شىء حى . مع الاستفادة من علوم النبات فى الزراعة ومقاومة الآفات وتحسين المحاصيل .

وغرس روح المحبة للأرض والزرع والسماء وكل مخلوقات الله تعالى لأن الكل يسبح الله تعالى قال تعالى [وان من شىء

سادسا : اقامة صناعات زراعية قائمة على هـذه المزروعات وهذا سيجعل الطلاب والطالبات يعرفون كيفية الاستفادة للغاية القصوى من محاصيل البيئة فى حياتهم العملية المستقبلة وبالتالى يفيدون أمتهم أعظم الفائدة .

وكذلك المدينة التى توجد فى بيئة ساحلية ٠ يلزم القيام لطلابها وطالباتها برحلات لصيد الأسماك وقبل القيام بهذه الرحلات سيقوم الطلبة بوضع خطة الصيد والحصول على الأجهزة المطلوبة وكيفية الاستفادة بالسمك الفائض عن الحاجة ٠ وهذا النشاط العملى سيحقق الفوائد الآتية :

أولا : دراسة البحار والمحيطات والأنهار والمد والجزر وغير ذلك أى دراسة علوم البحار للاستفادة بها فى الصيد ٠ والذى يدرس للاستفادة ليس مثل من يدرس للمعرفة النظرية فقط ٠ فالمعرفة للمعرفة تنسى غالبا والمعرفة للعمل لا تنسى أبدا بل ترسخ وتثبت ويزاد عليها من الخبرة العملية ٠

ثانيا : دراسة الكائنات البحرية وأوجه التشابه والاختلاف بينها وبين الكائنات البرية ٠ ولا يخفى ما فى هذه الدراسات من فوائد لا تقدر بمال ٠

ثالثا : معرفة الأجهزة المستخدمة فى الصيد وأخذ فكرة عنها ومحاولة صناعة بعضها من آلات صيد وحبال وسفن وأحواض وغير ذلك ٠

رابعا : دراسة كيفية تعليب وتجميد السمك الفائض عن الحاجة لبيعه والاستفادة بثمنه ٠ ولا يخفى ما فى هذه الصناعة

من توفير البروتين الرخيص لأفراد الأمة وبناء الأجسام وتوفير الغذاء المفيد واستغلال ثروات البحار وما أغنى العالم الاسلامى ببحاره وأنهاره وبحيراته وخلجانه ومحيطاته . ومن هنا يتخرج هؤلاء الطلاب وقد تسلحوا بمعارف عملية ونظرية تفيد أمتهم الاسلامية وتحقق رخاءها وتوفر لها الغذاء الضرورى . ويتحقق بهم استغلال كل ثرواتها لصالح أبنائها .

خامسا : خلق مجالات حيوية أمام طموح الطلاب بعد تخرجهم يفيدون بها أنفسهم وأمتهم .

سادسا: غرس احترام الأعمال اليدوية فى قلوب الأجيال الناشئة فى الأمة الاسلامية .

سابعا : اكساب الطلاب روح المغامرة وركوب متن البحار فى شجاعة وهذه الروح هى التى ستحقق للأمة الاسلامية فى المستقبل مجدها كما حققتها لها فى ما ضيها .

ثامنا : استغلال المربى لهذه الرحلات للصيد بين أمواج البحار وربط الدين بالعمل وشرح الآيات القرآنية التى تحدثت عن البحار والسمك والرياح والأمواج وتكريم الله للانسان فى البر والبحر . وتسخير الكون لخدمته ببره وبحاره وهوائه .

ولو قامت هذه المدن التربوية فى بيئة صحراوية فيمكن عمل مشاريع عملية لتربية الحيوانات والاستفادة من لحومها وأشعارها وألبانها فى صناعات عدة ودراسة البيئة بكل ما تحتويه .

وهذه المشاريع العملية ستفيد الطلاب والطالبات أعظم الفائدة فى مستقبل حياتهم العملية بعد التخرج لميادين الحياة .

فأولا : تربية الحيوانات ستجعلهم يقومون بدراسة كل ما يتعلق بهذه الحيوانات فى علم الحيوان لتطبيق المعرفة على العمل ولا يخفى ما فى هذه الدراسة من فوائد لا تحصى .

ثانيا : دراسة البيئات المختلفة ولماذا تعيش أنواع بعينها من الحيوانات فى بيئة بعينها دون الأخرى .

ثالثا : كيفية المحافظة على هذه الحيوانات والاستفادة القصوى منها .

رابعا : عمل معامل ألبان وسمن وزبادى ونسيج للاستفادة من هذه الحيوانات وهذا فتح لمجالات عديدة من الأنشطة الحيوية أمام الطلاب بعد التخرج وتطوير البيئات المختلفة . وسد حاجة المجتمع من هذه المنتجات . وزيادة الثروة .

خامسا : دراسة نباتات البيئة وكيفية المحافظة عليها وأوجه استغلالها . فالنخيل مثلا يمكن اقامة صناعات فى المدينة التربوية لاستغلال وتصنيع خوصه وجريده وأليافه فى الأثاث المنزلى وغيره. وكذلك تصنيع التمر فى مربات وشراب مغذى وقوالب عجوة وغير ذلك من الصناعات المفيدة .

سادسا : اجراء تجارب على النباتات الطبيعية لاستخراج الدواء منها لمختلف الأمراض .

سابعا : ربط الدين بالحياة والعمل ببيان ما جاء من نصوص دينية عن الجمال والغنم والبغال والحمير والبقر والأسد وغيرها وكذلك الآيات التى تحدثت عن النخيل ونباتات البيئة وكذلك نصوص السنة الشريفة .

ثامنا : هذه الأنشطة المختلفة تفتح المجال واسعا أمام الطلاب لاستعمالها فى الحياة العملية بعد التخرج وتعود بالفائدة على الفرد والأمة وتوفر حاجات الأفراد من الغذاء والكساء والدواء • وتجعل الثروات الطبيعية والبيئية تستغل أكمل استغلال وتحدث التوازن المطلوب بين الصناعة والزراعة والتجارة •

[ولو قامت هذه المدن التربوية فى بيئات صناعية أو بترولية] فيمكن أيضا عمل مشروعات عملية للطلاب والطالبات مع دراسة مكثفة عن هذه الصناعات وموادها الأولية وكيفية استغلال هـــذه المواد فى عشرات المصنوعات وكذلك فوائد البترول ومشتقاته وكيفية تكونه •

وهذا يفيد الطلاب الفوائد الآتية •

أولا : دراسة العلوم المتعلقة بهذه الصناعات والمستخرجات مثل علم طبقات الأرض والكيمياء والنبات وغيرها •

ثانيا : ربط الدين بالعلم بالعمل بايراد النصـــوص الدينية التى تكلمت عن الحديد وفوائده وعن النحـــاس • وعن السير فى الأرض للنظر فى كيفية بدء الخلق • وعن تسخير ما فى السموات والأرض لصالح الانسان • وكيف أن كل ما فى الأرض والســـماء يمكن الاستفادة منه لصالح الانسان تحقيقا لنصـــوص الاســـلام العظيم •

ثالثا : غرس حب الصناعات المتعددة فى قلوب الطـــلاب مع بيان فوائدها للمجتمع عمليا ونظريا مما يخلق مجالات حيوية أمام الطلاب بعد التخرج لاقامة مصـــانع متنوعة وتحقيق طموحهـــم وقوة أمتهم •

رابعا : تحويل الأمة الاسلامية الى أمة صناعية قوية تصنع كل ما تحتاجه من أنواع الصناعات دون الاعتماد على غيرها فى ذلك وتبذير ثرواتها فى شراء الصناعات المختلفة بأبهظ الأثمان ٠

خامسا : قيام قاعدة عظمى للصناعات الحربية التى تحتاج اليها الأمة الاسلامية فى الدفاع عن نفسها وحماية مقدساتها وتحرير أرضها المغتصبة ٠

[فوائد المدن التربوية التعليمية]

المدن التربوية التعليمية المقترحة أفضل من المدارس المتفرقة لأنها بنظامها المشار اليه تخلق المجتمع الفاضل المؤمن المثقف النشط المسلح بكل خبرات القوة وأنواع النشاط الهادف المتلائم مع مختلف البيئات تلاؤم ابداع وحسن استغلال • وفيها يكون الكبير قدوة للصغير ويحرك الجميع غاية عظمى فى رفع شأن الاسلام ونشره وحماية مقدساته ورد عدوان أعدائه على الأمة الاسلامية • .

وفى هذه المدن يبقى طلاب الابتدائى والمتوسط والثانوى خمسة أيام فى الأسبوع فى المدن وهذا يترتب عليه الحاق حجرات للنوم لجميع طلاب هذه المراحل يتوافر فيها البساطة والنظافة والخشونة فى حياة عسكرية منظمة • لتعويد الطلاب عدم الاعتماد على الأهل والاعتماد على النفس وحياة الخشونة والعسكرية قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو فقد مات على شعبة من شعب النفاق • والمسلم مجاهد بطبعة حسب تعاليم دينه منذ نشأته الى سفره الى الدار الآخرة •

وفى هذه المدن التربوية يعود الطلاب على تقسيم الليل والنهار تقسيما منظما خلاقا ما بين جد وعبادة ولهو •

فحسن تقسيم الوقت والاستفادة منه من أعظم أسباب القوة أو الضعف فى الأمم ولهذه الحكمة وزع الحكيم الخبير سبحانه وتعالى الصلوات الخمس التى هى صلة بين العبد وربه وعماد الدين على أوقات الليل والنهار فى توزيع فريد •

وفى هذه المدن التربوية أيضا يكتسبون المعرفة ويحصلون العلوم عن طريق ممارسة خبرات الحياة المتنوعة فهم يحصلون على العلم الحى لا العلم الميت •

ويواجهون الحياة بكل أسلحة مجابهة الحياة .

ان هذه المدن تخرج رجالا يغيرون وجه الحياة .

لاحملة شهادات يوزعون كقطع الشطرنج على الوظائف المختلفة .

ان هذه المدن تخرج شبابا يملؤه الطموح وتدفعه روح العقيدة لاقتحام الأهوال من أجل مجد أمة الاسلام وليس كشباب المدارس الحالية التى يتخرج منها حملة شهادات غايتهم الوظيفة والزوجة والمرتب الحسن .

شباب فاقد لروح الطموح ينطبق عليهم قول الشاعر شباب قنع لاخير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا ان الأمة الاسلامية اليوم فى حاجة ماسة الى هذه المدن التربوية لاعادة صياغة أجيالها وخلق أمجادها وتحقيق تعاليم دينها والقضاء على أمراض الجهل والسلبية والفقر والانحلال بين أفرادها .

فى حاجة الى هذه المدن التربوية لتوحيد شعوبها وتحقيق كيانها والقضاء على نزعات العنصرية الاقليمية الجاهلية بين أبنائها . الأمة الاسلامية فى حاجة لهذه المدن التربوية لتخريج قادة . فى كل ميادين الحياة يحققون التوازن بين المادة والروح والدنيا والآخرة والعقل والعاطفة لتعود بهم أمتهم كما كانت خير أمة أخرجت للناس .

أمة تقود ولا تقاد تبتكر ولا تستهلك تنشر السلام والاسلام وتقيم العدل وتحقق للبشرية الأمان . وفق الله قادة الأمة الاسلامية لما فيه خير الاسلام انه نعم المولى ونعم النصير .

محمد عبد المنعم رضوان

بيشة فى ١٩٧٨ م